فلسطين

الشهيدة

الإمام المصلح المجاهد
عبد الحميد ابن باديس

اعتنى بنشره

د. إياد العكيلي

حقوق الطبع لكل مسلم ١٤٤٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على نبيّنا سيّد الأولين والآخرين، وعلى من تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

فرغم أنَّ الإمام المجاهد عبد الحميد ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] لم يعايش أطوار القضية الفلسطينية وتداعياتها، ولم يشاهد ما شاهدناه وما زلنا نشاهده من ويلات التقتيل التي تُسلَّط على إخواننا في فلسطين من قِبل العصابات الصهيونية الآثمة، التي تفعل فعلتها بتواطؤٍ صريحٍ ومعلنٍ من قوى الشر التي تبسط سيطرتها على عالمنا المعاصر، على الرغم من أنّ ابن باديس لم

---

(١) جاء في ترجمته (الأعلام للزركلي: ٣/ ٢٨٩):

"ابن بادِيس (١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ = ١٨٨٧ - ١٩٤٠م):

عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس: **رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١م إلى وفاته**، وُلد في قسنطينة، وأتمَّ دراسته في الزيتونة بتونس، **وأصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية**، صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدًا، **وكان شديد الحملات على الاستعمار**، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطُهد وأُوذي، وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده، وأنشأت جمعية العلماء في عهد رياسته كثيراً من المدارس، وتُوفي بقسنطينة في حياة والده، له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريسًا زهاء ١٤ عامًا، ونُشرت نُبذ منه، ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم (مجلس التذكير - ط)، ونشر في الجزائر (آثار ابن باديس) في ٤ مجلدات".

يعايش هذه القضية، إلا أنَّه كان من أوائل العلماء المسلمين الذين تنبَّهوا لخطورة أطماع اليهود في فلسطين، وكان يُدرك جيّدًا أنّ الاستعمار الغربي مُمثَّلاً في بريطانيا وأضرابها، ومن جنَّده من عملائهم المنافقين من بني جلدتنا، هو الذي يقف وراء غرس الكيان الصهيوني الغاشم في جسد الأمة العربية الإسلامية، حتى يعوق الإسلام عن النهوض بهذه الأمة، ويحافظ على مصالحه في الوطن العربي، وما كان وعد بلفور إلا تجسيدًا لمخطط استعماري بحت[٢].

وبين يديك أخي القارئ الكريم مقالاً بعنوان: "فلسطين الشهيدة" كتبه الإمام ابن باديس في جريدة الشهاب[٣] سنة ١٩٣٨م[٤]، أي قبل عشر سنوات من إعلان قيام دولة اليهود في فلسطين المحتّلة، أحببنا أن نسلّط عليه الضوء، وأن نُفرده بالنشر؛ لأهميّته في بيان جهود العلماء والمصلحين في التحذير من خطر

---

(٢) الإمام عبد الحميد بن باديس، د.مسعود فلوسي، ص٣٩.

(٣) هي جريدة أسبوعيّة أنشأها العلامة عبد الحميد بن باديس سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، اهتمت بقضايا الأمة الإسلامية.

(٤) الجزء ٦، المجلد ١٤، ص ١ - ٤ غرة جمادى الثانية ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، وهي موجودة في آثار ابن باديس، إعداد د. عمار الطالبي، ٤١٣/٣.

اليهود ومن والاهم، والتركيز على قضية فلسطين، والدفاع عن مقدسات المسلمين.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فلسطين الشهيدة

رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال الله في المسجد الأقصى في سورة الإسراء: {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء:١] ليعرّفنا بفضل تلك الرحاب، فكلُّ ما هو واقع بها كأنّه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة.

حَمَى الإسلام تلك الرحاب من أيامه الأولى، وحمى جميع مقدَّسات جميع الملل، وكفَّ عادية بعضهم عن بعض، وعاش اليهود تلك القرون الطويلة ينعمون برخاء العيش وحرية المعتقد واحترام المعاهِد.

تزاوج الاستعمار الانكليزي الغاشم بالصهيونية الشرهة فأنتجا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى الذي أنساهم كل ذلك الجميل، وقذف بهم على فلسطين الآمنة، والرحاب المقدسة، فأحالوها جحيمًا لا يُطاق، وجرحوا قلب الإسلام والعرب جُرحًا لا يندمل.

نقول، لقسمٍ كبيرٍ من اليهود، لأنَّ هنالك من اليهود عددًا كثيرًا يستنكر هذا المأتى الجنوني الظلوم، ويعترف بجميل الإسلام والسعادة التي نعم بها اليهود، ويهود القدس في ظله الوارف الأمين، فقد قدّم رئيس الطائفة السامرية إلى حاكم نابلس عريضة احتجَّ

فيها باسم الطائفة على الاعتداءات الأثيمة التي وقعت على العرب في القدس وحيفا ويافا، هذا نصّها:

"نحن أفراد الطائفة السامرية رجالًا ونساء نستنكر بشدّة أعمال الاعتداءات الفظيعة التي يقوم بها أشخاص من اليهود ضد قوم أبرياء في حيفا ويافا والقدس، ونطلب بشدة الحيلولة دون تكرار هذه الحوادث المروِّعة، ونصرّح بأنّنا -على أقليّتنا- نعيش منذ ألوف السنين مع مواطنينا العرب في سلام، ولم يحدثْ أن اعتدى منهم أحد علينا أو حاول اضطهادنا".

هذه هي الحالة العامة التي كانت عليها فلسطين ألوف السنين حتى جاء الزوجان المشؤومان: الصهيونية والاستعمارية فكان البلاء على فلسطين كلها عربها ويهودها، فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها، ولا بين كل مسلم ويهودي على وجه الأرض، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الانكليزي من جهة والإسلام والعرب من جهة، والضحية فلسطين والشهداء -حماة القدس الشريف-، والميدان رحاب المسجد الأقصى.

وكلُّ مسلم مسؤول أعظم المسؤولية عند الله تعالى على كل ما يجري هنالك، من أرواح تُزهق، وصغار تُيتّم، ونساء تُرمّل، وأموال تُهلك، وديار تُخرّب، وحرمات تُنتهك، كما لو كان ذلك كله

واقعاً بمكة أو بالمدينة، إن لم يعمل لرفع ذلك الظلم الفظيع بما استطاع.

يريد الاستعمار الانكليزي الغاشم أن يستعمل الصهيونية الشرهة لقسم الجسم العربي، وحطِّ قدس الإسلام، فيملأ فلسطين بالصهيونيِّين المنبوذين من أمم العالم، ولأجل هذه الغاية الظالمة تُجنِّدُ جنود الانكليز، وتجمّع أموال الصهيون، وتسفك الدماء البريئة، وتلطّخ بها الرحاب المقدسة.

يجري كل هذا وترتفع له أصوات العالم الإسلامي والعالم العربي بالاحتجاج والاستنكار، ويخاطب ملوك العرب والإسلام حكومة الانكليز فلا تزيد آذانها إلا صممًا، ولا قلبها إلا تحجّرًا.

نقول العالم الإسلامي والعالم العربي، لأنّنا لم نرَ ولم نسمع من غيرهما احتجاجًا جديًّا، واستنكارًا صارخًا، حتى الذين يُقيمون الدنيا ويقعدونها بصراخهم، ويبذلون ما يبذلون من مساعداتهم في أوطان أخرى، لم نرهم إزاء فلسطين الشهيدة إلا سكوتًا أو شبه سكوت، وشتّان ما بين من يريد المقاومة ومن يريد رفع الملام.

نحن -المسلمين- أعداء الظلم بطبيعتنا الإسلامية، ونرحم المظلوم ولو كان هو ظالمًا لنا.

منذ أيام كنتُ في حانوت تاجر مسلم، وقد قرأ عليَّ أخبارًا عن اضطهادات ألمانية جديدة على اليهود، فلما فرغ من القراءة قال

لي: "هذا يا شيخ حرام عندنا في الإسلام، احنا نخليو الناس كلهم يعيشوا بأموالهم" فقلت له: نعم، وأخذتُ أبيّن له كيف عاش اليهود في ظل الإسلام، هذا عامّيٌّ من أوساط الناس متمسِّكٌ بدينه، ومتألِّمٌ من حالة القدس الشريف، ويعرف أنَّ بلاءَها من مهاجرة يهود ألمانيا وغيرهم، ومع ذلك يستنكر ما يلحقهم من الظلم، وها هم اليهود اليوم قد شرَّدتهم ألمانيا، ومن قوانينها الجديدة عليهم بيع أملاكهم ببرلين بالمزاد العام، ومنعهم في المستقبل من الامتلاك، ومنعهم من صناعة الطب بتاتًا، والحكومة اليونانية منعتهم من دخول أرضها ولو على سبيل السياحة، وإيطاليا أخذت في اضطهادهم بأساليب علمية دقيقة وسياسية قاتلة، وفرانسا أيضًا قد هبّت عليها هبات من هذه السموم، ستُصيب اليهود أو قد أصابهم شيء من لفحها.

هذا حالهم بين الأمم المسيحية وقد عادوا -أو كادوا- كما كانوا في القرون الوسطى، لا يطمئنون على أزواجهم وأموالهم وثقافتهم إلا في بلاد الإسلام، وها هم مع ذلك يستمرون على ظلم الإسلام في قدس الإسلام، ولا ناهي لهم، ولا ناصح ممن يسمعون لنهيه ونصحه، وما يدريهم أنَّ هذا البلاء الذي ابتدئ بصبه عليهم هو جزاء ظلمهم لفلسطين، ظلم الفعل وظلم الرضا وظلم السكوت

عن الاستنكار، وأنَّ اللهَ لينتقم من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الجميع.

إن الدفاع عن القدس من واجب كل مسلم، وقد هبَّ رجالات الإسلام في الشرق للقيام بهذا الواجب، فهنالك من ناحية الحكومات ما يقوم به وزير مصر ووزير العراق باسم ملوك العرب في لندن، وهنالك اللجنة البرلمانية المصرية للدفاع عن فلسطين، تضم فريقًا كبيرًا من حضرات الشيوخ والنواب المصريين، وقد اعتزموا على عقد مؤتمر برلماني عام للبحث في قضية فلسطين، على أن يشترك في المؤتمر أيضًا زعماء العرب والمسلمين في الأقطار العربية والإسلامية التي لا توجد فيها برلمانات، وصحَّ عزم اللجنة على أن يُعقد المؤتمر في مدينة القاهرة إن شاء الله يوم الجمعة الموافق لـ ١٢ شعبان ١٣٥٧هـ و١٧ أكتوبر سنة ١٩٣٨م[٥].

---

(٥) وقد أبرقت جمعية علماء المسلمين بالجزائر برئاسة ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى المؤتمر البرلماني ببرقية هي خلاصة ما يلي (آثار ابن باديس: ٣/ ٤٥٩):

"مكتب علوبة باشا القاهرة - مصر.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -باسم المسلمين الجزائريين- تحي في شخصكم مؤتمركم العظيم، وتضمُّ صوتَها إلى صوتكم، وتوافق على ما يستقر عليه رأيكم وتؤيدكم بكل ما تستطيع في سبيل قضية فلسطين التي هي قضية الحق والإنسانية والسلم العام، الرئيس: عبد الحميد بن باديس".

سيكون هذا المؤتمر الأول من نوعه في الشرق العربي، وستعرف به الصهيونية والاستعمار البريطاني أنها أمام العالم الإسلامي والعربي لا أمام فلسطين وحدها، فعلى المسلمين كلهم أن يؤيّدوا هذا المؤتمر برفع أصواتهم إليه، وعلى اليهود الذين ينكرون ظلم الصهيونية وشرها أن يغتنموا هذه الفرصة الفريدة لإعلان استنكارهم.

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال:٢٥].